مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 6 Issue : 1 Year : 2022

المجلد: 6 العدد: 1 السنة: 2022

في هذا العدد:

- المشترك اللفظي في كلمة (أثر) في القرآن الكريم (دراسة تحليلية دلالية)

  نوال بنت محمد بن زاهد علي سردار
- حسن التخلص في سورة الحجر، دراسة تحليلية

  سامية بنت عطية الله المعبدي
- معالم الاتجاه الإصلاحي في تفسير الإمام عبدالحميد بن باديس "دراسة تحليلية"

  علي بن أحمد الزهراني
- التفريق بين الزوجين للأمراض الحديثة: دراسة فقهية مقارنة بقانون الأحوال الإماراتي

  حمده بالجافلة المنصوري
- قتل الغيلة: حقيقته، وحكم العفو فيه، وموقف قانون العقوبات القطري منه

  راشد محمد طيب العمادي
- نفي العلم بالخلاف عند الأصوليين

  علي بن أحمد بن أحمد الحذيفي
- بناء الحضارات في التشريع الإسلامي

  أروى بنت محمد بن علي العقلا
- الحوارات الدعوية مع المتشككين (دراسة تحليلية)

  سهيل محمد قاسم مينق
- تصور مقترح لأساليب تفعيل الأنشطة التربوية اللاصفية بمدارس إكرام مصلح بماليزيا من وجهة نظر المعلمين

  محمد حامد عليوة، فخر الأدبي بن عبد القادر
- الحداثة وما بعدها من منظور عقدي

  مشاعل بنت خالد باقاسي

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

جامعة المدينة العالمية

Al-Madinah International University

eISSN 2600-7096

eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 1, Mar 2022

Polysemy in the Term Athar in the Qur'an (a Semantic Analytical Study)

Nawal Mohammad Sirdar

Assistant Professor of Interpretation, Umm Al-Qura University, Faculty of Da`wah and Fundamentals of Religion, Department of Da`wah and Islamic Culture, Saudi Arabia

E-mail: nmsirdar@uqu.edu.sa

ABSTRACT

This research aims to study polysemy of the word (athar) in the Qur'an (a semantic analytical study). Research problem lies in proving that (athar) in the Qur'an is polysemous, which necessitates clarifying its meanings with evidence, revealing the confusion that comes to mind about its meaning, and the aspect of rhetorical miracle in it, as it was not mentioned in the books of al-Wujūh wa al-Nadhā'ir (similarities and counterparts). The research aims to define the concept of polysemy, and explains reasons for its occurrence in the Qur'an and importance, and proves that (athar) is polysemous, and unveils its meanings with evidence, removing the confusion about it, and manifesting the rhetorical miracle of the Qur'an in it. The research used the method of induction to trace and count verses, studying, analyzing, and deducing. Results include confirmation that (athar) is polysemous. It is the greatest form of rhetorical miracle. Athar has six different meanings, proven by evidence from the context, reasons for the revelation, readings, and the aforementioned hadith narrations. Science students and researchers are recommended to reflect and extract polysemous words that were not mentioned in the books of al-Wujūh wa al-Nadhā'ir in order to enrich this great area.

Keywords: polysemy / athar / semantic study.

eISSN: 2600-7096
المجلد6، العدد 1،مارس 2022م

المشترك اللفظي في كلمة (أثر) في القرآن الكريم (دراسة تحليلية دلالية)

نوال بنت محمد بن زاهد علي سردار

أستاذ التفسير المساعد بجامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين – قسم الدعوة والثقافة الإسلامية المملكة العربية السعودية

الملخص

يروم هذا البحث إلى دراسة: المشترك اللفظي في كلمة (أثر) في القرآن الكريم (دراسة تحليلية دلالية).

حيث تكمن المشكلة في إثبات أن كلمة (أثر) في القرآن من المشترك اللفظي، الذي يستلزم بيان معانيه بالقرائن، وكشف الالتباس المتبادر إلى الأذهان حول معناه، ووجه الإعجاز البياني فيه، حيث لم يرد ذكرها في كتب الوجوه والنظائر.ويهدف إلى تحديد مفهوم المشترك اللفظي، وأسباب وقوعه في القرآن، وأهميته، وإثبات كلمة (أثر) كمشترك لفظي، بكشف النقاب عن معانيها، بالقرائن المقترنة بها، وإزالة اللبس المتبادر إلى الأذهان حولها، وتجلية إعجاز القرآن البياني فيها.متبعة منهج الاستقراء والتتبع والحصر للآيات، والدراسة والتحليل، والاستنباط.ونتج منها: ثبوت لفظ (أثر) من المشترك اللفظي في القرآن الكريم وكونه أعظم صور الإعجاز البياني، وأن لفظ (أثر) له ستة معان متباينة، ثبتت بالقرائن من سياق النص، وأسباب النزول، والقراءات، والروايات الحديثية المأثورة.والتوصية لطلبة العلم بالتدبر واستخراج الألفاظ المشتركة التي لم تذكر في كتب الوجوه والنظائر، إثراءً لهذا الباب الجليل.

الكلمات المفتاحية: المشترك اللفظي/ لفظ أثر/ دراسة دلاليه.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسان عربي مبين، على أفصح خلقه محمد بن عبد الله المعلم الأمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى صحبه الطاهرين، ... أما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام رب العالمين المعجز بلفظه وبيانه المبين، عجز فصحاء العرب عن أن يأتوا بآية من مثله، فهو تنزيل من لدن حكيم خبير، ومن إعجازه: ألفاظه المفردة المشتركة على تعدد اشتقاقها، بحيث ترد بصيغة الفعل الماضي تارة وبصيغة الاسم تارة أخرى مع اختلاف معانيها؛ لما لها من أثر في إيضاح مراد الله تعالى من آياته، ولأهمية هذا المجال أفرد له بعض العلماء كتبًا، مثل: "ما اتفق لفظه واختلفت معانيه، لابن الشجري"، و"الوجوه والنظائر، لمقاتل بن سليمان" وأفرد له السيوطي قسمًا كبيرًا في كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن... وغيرها، إلى جانب عناية الباحثين المعاصرين به، فأفردوا له بحوثًا بمسمى المشترك اللفظي، الشرعية منها و البلاغية البيانية، فآثرت الانضمام لهذا المجال بالكتابة فيه من منظور شرعي، فكان عنوان البحث: **المشترك اللفظي في كلمة (أثر) في القرآن الكريم (دراسة تحليلية دلالية).**

أهمية الموضوع: تكمن الأهمية في كونه يتناول كتاب الله تعالى بالدراسة والتنقيب في عجائبه التي لا تنقضي، فالمشترك اللفظي محور من محاور البيان المعجز فيه، والاستدلال عليه بكلمة (أثر) ودلالاتها المختلفة الواردة في آياته، باعتبارها من المشترك اللفظي، وإزالة اللبس حول المقصود منها، الحاصل من تداخل اللغات والانفتاح على ثقافات المجتمعات الأخرى، وتجلية حقيقة الاعجاز البياني فيها، من وجهة نظر تفسيرية، تخدم المتخصص في التفسير وعلوم القرآن، والقارئ المتدبر في آيات الكتاب.

إشكالية الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في إثبات أن كلمة (أثر) في القرآن من المشترك اللفظي، الذي يستلزم بيان معانيه بالقرائن، وكشف الالتباس المتبادر إلى الأذهان حول معانيه، ووجه الإعجاز البياني فيه، حيث لم يرد ذكرها في كتب الوجوه والنظائر، ولم تشر إليها أي دراسة سابقة.

أسئلة الدراسة: يمكن تحديد الأسئلة كالتالي:

- ما هي حدود المشترك اللفظي عند الأصوليين واللغويين والمفسرين؟ وما الفرق بينها؟ وما علاقة المشترك اللفظي بالإعجاز القرآني؟
- هل كلمة (أثر) من المشترك اللفظي في القرآن الكريم؟ ما هي القرائن الدالة على ذلك؟ وما وجه الاعجاز القرآني فيها؟

أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1- خدمة كتاب الله بمدارسته وتدبر آياته، بدراسة (المشترك اللفظي) الذي هو نوع إعجاز بياني في القرآن.

2- تحديد مفهوم المشترك اللفظي والتفريق بين مفهومه عند اللغويين والأصوليين والمفسرين.

3- بيان أسباب وقوعه في القرآن الكريم، وأهميته.

4- إيضاح العلاقة بين المشترك اللفظي باعتباره علم بياني، وبين الإعجاز القرآني

5- إثبات أن كلمة (أثر) تعد من المشترك اللفظي، بالقرائن، وإزالة الالتباس المتبادر إلى الأذهان من ارتباطه بكل ما هو قديم ومجرد آثارٍ باقية، أو مروياتٍ حديثية عن الصحابة والتابعين.

6- تجلية فصاحة القرآن وبيانه المعجز من خلال إثبات كلمة (أثر) كمشترك لفظي.

حدود البحث: تنحصر في دراسة الآيات التي ورد فيها كلمة (أثر) واشتقاقاتها، ودلالاتها في القرآن الكريم.

منهج البحث: سلكت منهجين:

الأول: منهج الاستقراء والتتبع، والحصر للآيات التي وردت فيها كلمة (أثر).

الثاني: منهج الدراسة والتحليل للآيات ومعانيها، والاستنباط.

الدراسات السابقة: خاض غمار (المشترك اللفظي) باحثون في مجالات متعددة (اللغوية والأصولية وعلوم القرآن)، كونه من العلم المشترك بين هذه التخصصات، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر:

1- المشترك اللفظي واشراقاته في القرآن الكريم، "فتح" أنموذجا، الباحث: محمد عامر محمد، جامعة ميسان، كلية التربية، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، العدد 31، 2017م.

التعليق: تناولت هذه الدراسة كلمة (فتح) أنموذجا للدراسة، واعتبارها مشتركا لفظيا، من وجهة لغوية بيانية.

2- المشترك اللفظي من لفظ "ضرب" في القرآن الكريم، (دراسة تحليلية دلالية)، الباحث: عائشة أدريانا، سوسي فيتريا، الجامعة الإسلامية -مادورا- أندونيسيا، مجلة أوكارا باهاسا، العدد 12، 2018م.

التعليق: تناولت هذه الدراسة كلمة (ضرب) أنموذجا للدراسة، واعتبارها مشتركا لفظيا.

3- المشترك اللفظي في القرآن الكريم، الباحث: عبد القادر عبد الله أحمد، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، د. ط، د. ت.

التعليق: تناولت دراسة المشترك اللفظي عموما وتحديد معالمه.

4- المشترك اللفظي والمعنوي، الباحث: عبد الخالق شفاعة، الجامعة الإسلامية الحكومية، سونان أمبيل سورابايا، أندونيسيا، مجلة القانون، العدد 13، 2010م.

التعليق: تناولت دراسة المشترك باعتبار نوعيه: اللفظي والمعنوي، وتحديد معالم كلا منهما.

5- المشترك اللفظي في القرآن الكريم -نماذج مختارة-، الباحث: صفاء عمامرة، هناء عيساوي، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، كلية الآداب واللغات، الجمهورية الجزائرية، 2016م-2017م.

التعليق: تناولت دراسة المشترك اللفظي عموما وتحديد معالمه، والتمثيل له بما ورد في كتب الوجوه والنظائر، من وجهة نظر لغوية بيانية.

على تعدد الدراسات إلا أنه وبحسب علمي لم يتناول دراسة المشترك اللفظي لكلمة (أثر) في القرآن الكريم ودلالاته أي دراسة سابقة، كما أنه وبحسب اطلاعي القاصر لم يرد ذكر كلمة (أثر) في كتب الوجوه والنظائر، لكن بتتبع تفسير الكلمة في القرآن وأقوال المفسرين تبين أنها من المشترك اللفظي، وبهذا تكون هذه الدراسة إضافة علمية جديدة موثقة في باب المشترك اللفظي، وإن كان جانب الدراسة النظري لمفهوم المشترك اللفظي وأسبابه يُعد قاسمًا مشتركًا أساسيًا لجميع الأبحاث في المشترك اللفظي في مختلف التخصصات الشرعية والعربية والأصولية.

خطة البحث: يتضمَّن البحث مبحثين أساسيين يتقدمهما مقدمة، ويقفوهما خاتمة، يعقبها ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مفهوم المشترك اللفظي، ضوابطه، أسبابه وأهميته.

المبحث الثاني: مفهوم كلمة (أثر)، ووروده في القرآن ودلالته.

المبحث الأول: مفهوم المشترك اللفظي، ضوابطه، وأسبابه، وأهميته.

التعريف بمصطلح عنوان البحث يُعد ركيزة أساسية لتحقيق أهداف الدراسة، ولذلك سنستعرض مفهوم (المشترك اللفظي)

مفهوم المشترك اللفظي: هذا المصطلح يُعد من المركب، وسنفرد كل كلمةٍ منه بالبيان.

المشترك في اللغة: هو من (شَرَكَ)، الشين والراء والكاف أصلان، فهو لفظ يدل على أحد معنيين[1]:
المعنى الأول: مقارنة وضد الانفراد، ومنه الشِرْكَة والشَّرِكة سواء، بمعنى: التشارك، وشَرِكَه في الأمر يَشْرَكُه: دخل معه فيه وأَشْرِكْه فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢ ﴾[طه:32]، أي: اجعله شَرِيكًا لي، فهي شركة بين إثنين لا ينفرد بها أحدهما عن الآخر، وطريق مُشْتَرَك: يستوي فيه الناس، واسم مُشْتَرَك: تشترك فيه معانٍ كثيرة، كالعين ونحوها[2].
المعنى الثاني: يأتي (الشَرَك) بمعنى الامتداد والاستقامة، كشِرَاك النَّعل، وشَرَك الصائد، وسُمي بذلك لامتداده[3].
ومما سبق يتضح أن المعنى اللغوي لكلمة (المشترك) يدور حول المشاركة والامتداد والاستقامة.

اللفظي في اللغة: (لَفَظَ) أصله رَمي وطَرْح شيء كان فيك، فيُقال: لَفَظَ يَلْفِظ لَفْظًا، ويُستعمل غالبًا فيما يُطرح من الفم، ويُستعار في غيره، كالكلام، وكما في البحر يَلْفِظ الشيء، أي: يرمي به على الساحل[4].
ويتضح من معنى (اللفظ) أنه يُطلق في الأصل على ما يُرمى ويُطرح، وبغلب على ما يُطرح من الفم، ويُستعار في الكلام الخارج من الفم –وهذا ما نقصده هنا–، وغيره مما يُطرح ويُرمى كالأرض تلفظ الميت.

المشترك اللفظي في الاصطلاح له عدة حدود، منها:

- حده عند أهل اللغة: (هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالةً على السواء)[5].
- حده عند الأصوليين:
  - (كل لفظٍ يشترك فيه معانٍ، أو أسامٍ، لا على سبيل الانتظام، بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المراد به على الانفراد، وإذا تعين الواحد مرادًا به، انتفى الآخر)[6].
  - اللفظة الموضوعة لحقيقتين مختلفتين، أو أكثر، وضعًا أولًا، من حيث هما كذلك[7].

---

[1] ينظر: القزويني ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (شرك)، ج3، ص265.

[2] ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، مادة (شرك)، ج10، ص448-449. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (شرك)، ج27، ص223.

[3] ينظر: ابن فارس القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (شرك)، ج3، ص265.

[4] ينظر: الخليل الفراهيدي، أحمد بن عمرو بن تميم، **العين**، مادة (لفظ)، ج8، ص161. ابن فارس القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (لفظ)، ج5، ص259. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص507.

[5] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، 292/1.

[6] السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهيل، **أصول السرخسي**، ج1، ص126.

- حده عند علماء التفسير وعلوم القرآن: ما اتفق لفظه واختلف معناه، ولا علاقة بين معانيه[8]، وأطلقوا على المشترك اللفظي عدة مسميات، منها: الوجوه والنظائر، الأشباه والنظائر، ما اتفق لفظه واختلف معناه، ومن أشهر المؤلفات: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان البلخي. ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للحسين بن محمد الدامغاني، وغيرهم[9].

من استعراض حد (المشترك اللفظي) الاصطلاحي، يُلاحظ أنها متقاربة مع نوع تفاوت في احتراز العلماء لما يدخل ضمن مفهوم المشترك على الحقيقة، مما لا يدخل ضمنه، طبقًا لضابط الاستعمال أو الوضع أو الاحتمال[10].

ومن استعراض المعنى اللغوي والاصطلاحي يمكن استنباط الآتي:

- أن سمة (المشترك) هي المشاركة بين شيئين سواء كان معنىً، أو اسمًا، أو فعلًا.

- اتفاق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي في كون (المشترك من الألفاظ) هو اللفظ الواحد ذو معانٍ متعددة[11].

- أن أهل اللغة المثبتين للمشترك اللفظي أكثر توسعًا في المشترك اللفظي، فأدخلوا فيه ما اختلف تصريف لفظه، وما تطورت حروفه الصوتية فأبدل حرفه أو حركته، عكس الأصوليين الذين اقتصروا على المعاني التي وضعت وضعًا أوليًا فأخرجوا المجاز، والاستعمال العرفي، والتطور الصوتي للحروف، في حين نجد أن علماء التفسير وعلوم القرآن أخرجوا ما أبدلت حروفه واختلف تصريفه، وأدخلوا الألفاظ المعرّبة وما غلب استعماله في المجاز والعرف استعمالًا مساويًا للاستعمال الحقيقي[12].

---

[7] ينظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، ج1، ص57.، 57/1.

[8] ينظر: ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ج20، ص416.

[9] ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضَّل، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، وآخرون، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ناشرون، ط1، 1420هـ/1999م)، ج1، ص2. وانظر: زيد بن علي مهارش، **صور المشترك اللفظي في القرآن الكريم وأثرها في المعنى**، مجلة العلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة: جامعة أم القرى)، ع54، محرم 1433هـ، ص214.

[10] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، 292/1.

[11] هذا مجال دراسة البحث، إذ أن هناك مشترك من التراكيب وليس هو مجال دراستي.

[12] ينظر: زيد بن علي مهارش، **صور المشترك اللفظي في القرآن الكريم وأثرها في المعنى**، مجلة العلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة: جامعة أم القرى)، ع54، محرم 1433هـ، ص 215، فيما يخص موقف المفسرين من المشترك اللفظي.

ضوابط المشترك اللفظي عند علماء التفسير وعلوم القرآن[13]:

من خلال التعريفات السابقة، يمكننا استنتاج عدة ضوابط تحدد المشترك اللفظي عند علماء التفسير وعلوم القرآن:

1- اتحاد اللفظين أو الألفاظ، حروفًا، وتصريفًا، فلو اختلف حرف كلفظ (حنك وحلك)، أو اختلف تصريف الكلمات لم يدخل ضمن المشترك اللفظي، كما في لفظ (أَثَارَة) من أَثَرَ، ولفظ (تُثِير) من ثور، فاختلاف التصريف أدى إلى عدم دخول لفظ (تثير) ضمن معاني كلمة أثر – وهي مجال الدراسة–[14].

2- تعدد المعنى في أصل الوضع أو الاستعمال، فتكون متباينة. فكلمة الصلاة تعد مشتركًا لفظيًا باعتبار إرادة معنى الدعاء، لكن لو أردنا من لفظ الصلاة التمييز بين صلاة الفرائض وصلاة الجنائز، فهو بهذا الاعتبار لا يدخل ضمن المشترك اللفظي لاتفاقهما في حقيقة معنى الصلاة وإن كانت الكيفية مختلفة.

3- أن يكون المشترك اللفظي في لغة واحدة، فلو كانت الكلمة في العربية لها معنى، وفي اليونانية لها معنى آخر، لا يدخل ضمن المشترك اللفظي لاختلاف اللغات لذلك قالوا: (عند أهل تلك اللغة)، ما لم تُعرّب اللفظة، فعندها تدخل ضمن المشترك اللفظي، كما في قوله: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج:40]، فالمقصود بالصلوات المعبد وبيت الصلاة[15].

---

[13] يمكن الاطلاع على: النجران، سليمان بن محمد، **المشترك اللفظي في المصطلحات الأصولية،** مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة: جامعة أم القرى)، ع82، محرم 1442هـ/ سبتمبر 2020م، ص870-872. لكنني ذكرت ما يتفق مع منهجية كتب علماء التفسير وعلوم القرآن في حين أنه تقيد بضوابط تعريف الأصوليين. وأيضا: محمد حامد حسن عطية، **الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية بين التأصيل والتطبيق،** مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية والعربية، (القاهرة: جامعة الأزهر)، مجلد40، ع1، 2021م، ص18-19. واقتصرت اجتهادا مني على ما يوافق منهج المفسرين في الوجوه والنظائر.

[14] ينظر: محمد حامد حسن عطية، **الوجوه والنظائر في التراكيب القرآنية بين التأصيل والتطبيق،** مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية والعربية، (القاهرة: جامعة الأزهر)، مجلد40، ع1، 2021م، ص19.

[15] ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضَّل، **مفردات ألفاظ القرآن،** ص319-320.

4- أن تكون دلالة المعاني على حدٍ سواء، بمعنى أن اللفظ يستخدم في جميع معانيه بالسوية، سواء كان حقيقة أو مجازًا، أو بنقل المصطلح حتى يغلب عليه[16]، على أن من منهج كثير من المفسرين حمل اللفظ على جميع معانيه عند عدم وجود المانع أو علة تمنع ذلك، فإن وجدت قرينة لتخصيص اللفظ بمعنى واحد حمل عليه[17].

أسباب وقوع المشترك اللفظي:

تعرض الباحثون قديمًا وحديثًا لعرض أسباب وقوع المشترك اللفظي في القرآن، وخلاصتها ما يلي[18]:

1- اختلاف اللهجات، ووقوع اللفظ في أكثر من لغة من لغات العرب، بمعاني مختلفة، كلفظ "الصقر" للبن إذا اشتد حموضته، في أكثر لغات العرب، وفي لغة أهل المدينة يُقال "الصقر" للدبس[19].

2- الاستعمال المجازي للفظ والتوسع في ذلك، حتى تصير مساوية أو مقاربة للحقيقة، كما في لفظ العين، فيقال: عين الإنسان، وعين الماء، وعين القوم (الجاسوس)، ونحو ذلك، مما نقل عن المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي، وعدّها أهل العربية من المشترك اللفظي[20].

3- نقل المعنى المصطلح عليه إلى معنى آخر، ليصير اللفظ مشتركا بين المعنيين، كما في الألفاظ الشرعية، كالصلاة[21]، الأصل في معناها الدعاء، ثم صارت تطلق على الصلاة المعروفة.

---

[16] عند الأصوليين: المشترك اللفظي فيما وضع أولا له من المعاني، فلا يدخل المجاز ولا المنقول ضمن المشترك اللفظي. لكن بتتبع كتب الوجوه والنظائر وجدت أن علماء علوم القرآن يعدون ذلك من المشترك اللفظي.

[17] ينظر: ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ج13، ص341. زيد بن علي مهارش، **صور المشترك اللفظي في القرآن الكريم وأثرها في المعنى**، مجلة العلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة: جامعة أم القرى)، ع54، محرم 1433هـ، ص215.

[18] اقتصرت على الأسباب التي لاحظت وقوعها في القرآن الكريم خاصةً، دون ما وقع في اللغة العربية عمومًا.

[19] ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضَّل، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، وآخرون، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ناشرون، ط1، 1420هـ/1999م)، ج1، ص3، وانظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج2، ص715.

[20] ينظر: صفاء عمامرة، هناء عيساوي، **المشترك اللفظي في القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 1437هـ-1438هـ/2016م-2017م)، ص 10.

[21] ينظر: الراغب الأصفهاني، **التفسير**، ج1، ص3.

4- تطور دلالة الألفاظ الإسلامية، بإضافة معاني جديدة للألفاظ، لم يكن العرب يعرفونها، كما هي عليه من الرسم والتدوين بعد بعثة النبي محمد ﷺ ، كلفظ: الهدى، والتقوى، والإخلاص، ونحوها[22].

أهمية المشترك اللفظي:

تكمن أهمية معرفة المشترك اللفظي ودراسته، كونه رافدًا تستند عليه علوم متعددة كالتفسير والفقه والحديث والعقيدة والعربية، ولذا فإن معرفته على سبيل العموم له أهمية بالغة، نجملها في الآتي:

1- يُعد من أشرف العلوم، فشرف العلم بشرف موضوعه، فمدراسة كتاب الله تعالى من أشرف العلوم وأعلاها منزلة[23].

2- معرفة دلالة اللفظ بكل معانيه الواردة في أصل الاستعمال والمحتملة في الوضع والسياق؛ لتحليل وفهم النصوص القرآنية ومعرفة مراد الله تعالى من آياته، وإيضاح أحكامه الشرعية المترتبة عليها[24].

3- تجلية مزية اللغة العربية وما اختصت به من سعة المعنى مع إيجاز اللفظ، ومرونتها، الأمر الذي له أثره في إثراء العقل وتنمية الفكر.

4- إبراز الاعجاز البياني بورود اللفظ الواحد بمعانٍ مختلفة في القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين،[25].

5- حاجة الأمة الإسلامية لمعرفة مدلولات الألفاظ، ومنع الالتباس والوقوع في الفهم الخاطئ، لا سيما في الوقت الحاضر مع التداخل الحاصل بين اللهجة العامية واللغة العربية، وبين اللغة العربية والمعربة، ما لا يخفى من العواقب الوخيمة التي نتجت بسبب سوء فهم المعنى المقصود، خاصة في القضايا الشرعية[26].

المشترك اللفظي والاعجاز القرآني:

---

[22] ينظر: الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، ج1، ص134- إلى آخر الكتاب.

[23] ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضَّل، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، وآخرون، (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، ناشرون، ط1، 1420هـ/1999م)، ج1، ص36.

[24] ينظر: النجران، سليمان بن محمد، **المشترك اللفظي في المصطلحات الأصولية**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة: جامعة أم القرى)، ع82، محرم 1442هـ/ سبتمبر 2020م، ص867-868.

[25] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ج1، ص387.

[26] ينظر: النجران، سليمان بن محمد، **المشترك اللفظي في المصطلحات الأصولية**، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، (مكة: جامعة أم القرى)، ع82، محرم 1442هـ/ سبتمبر 2020م، ص867.

إن المشترك اللفظي باعتباره موردًا لغويًا واسعًا من خلال ورود اللفظ الواحد بمعاني متعددة مختلفة، أدى إلى توسع المعاني في اللغة العربية، وهذا وإن لم يكن مختصًا باللغة العربية فقط إلا أنه من أبرز السمات البلاغية للمفردات العربية، التي نزل القرآن الكريم بلغتها، ولذلك عدّ الإمام السيوطي رحمه الله الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم من أعظم مظاهر إعجازه، فقال:(حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهًا وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر)[27]. فألفاظ القرآن الكريم مع إيجازها وسعة معانيها، يُعد معجزة خارقة لعادة كلام البشر، كونه من لدن حكيم خبير.

المبحث الثاني: مفهوم كلمة (أثر)، وروده في القرآن ودلالاته.

مسوغات اختيار كلمة (أثر):

إن ألفاظ القرآن الكريم محط عناية الدارسين في مختلف العلوم المتعلقة به؛ كونها تتعلق بفهم مراد الله تعالى على الوجه الأكمل، ولما لهذه الكلمة من اشتقاقات متعددة اختلفت معانيها باختلاف دلالة سياق النص، والقرائن المقترنة به، ولما لها من تأثير وتعلق بحياة البشر، وما فيها من البيان الإعجازي.

مفهوم كلمة (أثر) في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: (أثر) الهمزة والثاء والراء، ثلاثة أصول، يدور حولها اللفظ:

الأول: تقديم الشيء، ومنه قول: آثَرْت فعل كذا، أي هممت وعزمت على فعله أول كل شيء. والأَثِير: الذي تؤثره بفضلك وصلتك، والمصدر الأَثَرَة، وآثَرْتُه بالشيء إيثارًا، بمعنى فضَّله واختاره[28]، كما في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا ﴿٩١﴾ ﴾ [يوسف:91].

الثاني: ذكر الشيء، والإخبار عنه كالحديث المأثور.

الثالث: رسم الشيء الباقي، الأثَر والآثَار، بقية ما يُرى من كل شيء وما لا يُرى، والأثير من الدواب: العظيم الأثر في الأرض بخفه أو حافره. والأَثَارة جمعه أَثَارات، أي: بقايا. ومنه الأَثَر، أي: الاستقفاء والاتباع، يُقال: ذهبت في أَثَره، أي تتبعته واقتفيت آثاره[29].

---

[27] **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ج1، ص387.

[28] ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (أثر)، ج10، ص20.

[29] ينظر: القزويني ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (أثر)، ج1، ص54-55.

يتضح من المعنى اللغوي أن كلمة (أثر) يتمحور حول ثلاثة معاني: العزم على فعل الشيء وتقديمه أولًا لأهميته أو لمكانته، ذكر الشيء على وجه الإخبار، الرسم الباقي للشيء وأثره المتبقي بعده وتتبعه، إما لكونه جلي وواضح أو بعد البحث وتقفي الآثار الخفية.

مفهوم الأثر في الاصطلاح: للأثر عدة معاني بحسب العلوم التي تناولته:

- حده عند الأصوليين: هو الحديث الموقوف المروي عن الصحابة والتابعين، من قول أو فعل، متصلا أو منقطعا[30].
- حده عند المحدثين: كل ما أُثر ونقل عن النبي ﷺ، من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية، أو خُلقية، وما أخبر به الصحابة والتابعين ﷺ من قول النبي ﷺ وفعله[31].
- حده عند المفسرين: التفسير بالأثر هو: تفسير القرآن بالقرآن، وبالحديث المروي عن النبي ﷺ، وعن الصحابة والتابعين ﷺ[32].

مما سبق يتضح لنا أن المعنى الاصطلاحي يدور حول الأثر المنقول المذكور، وإن كان بينهم خلاف عمن يؤثر عنه القول. ويلاحظ: أن هذا المعنى الاصطلاحي يتفق مع المعنى الثاني في اللغة. ويمكن القول: أن بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي عموم وخصوص، فالمعنى اللغوي أعم من المعنى الاصطلاحي، والمعنى الاصطلاحي خاص بذكر الشيء والإخبار عنه.

ورود كلمة (الأثر) في القرآن الكريم:

من خلال التتبع والاستقراء اتضح أن كلمة (الأثر) وردت في القرآن الكريم في (21) موضعًا، تارةً مفردةً (أثر)، وتارةً بالتثنية (آثارهما)، وتارةً بالجمع (آثارهم)، وتارةً اسمًا (أثارة)، وتارةً فعلًا ماضيًا (آثر)، وحينًا مضارعًا للغائب (يؤثرون)، ومرةً للمخاطب (آثرك – تؤثرون — نؤثرك)، ولا شك أن مجيء اللفظ الواحد بهذه الصيغ المتعددة مع اختلاف المعنى يُعد من الاعجاز القرآني البليغ، الدال على كونه تنزيل من رب العالمين.

دلالات كلمة (الأثر) في القرآن الكريم:

من خلال تتبع الآيات التي ورد فيها كلمة (الأثر) وتفسيرها تبين أنه على ستة معانٍ، وبيان ذلك:

---

[30] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **تدريب الراوي شرح تقريب النواوي**، ج1، ص202.

[31] ينظر: **المصدر نفسه**، ج1، ص202.

[32] ينظر: الذهبي، محمد السيد حسين، **التفسير والمفسرون**، ج1، ص112.

المعنى الأول: البقية من العلم تُروى، أَثِرت العلم: رويته، أثَره أَثْرًا وإِثَارة وأُثْرة، والأَثارة بفتح الهمزة البقية من العلم تُروى أو يُكتب فيبقى له أثر وعلامة[33]، قال تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المدثر:24]، نزلت في الوليد بن المغيرة –من زعماء قريش– لما سمع القرآن من النبي ﷺ وأخذته العزة بالإثم، فما كان منه إلا أن قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ يأثره عن غيره[34]، أي: هذا القرآن ما هو من عند الله لكنه يحكى ويروى وينقل عن الغير من البشر، تعلمه النبي ﷺ من المعروفين بممارسة السحر، فهو كلام منقول عن شرار الخلق[35].

وجه الدلالة: دل سياق النص مع قرينة سبب النزول الواردة أن معنى الأثر هنا: الرواية والنقل للخبر، وأخذه وتلقيه مشافهة عن الغير.

وقولـــه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الأحقـــاف:4]، هذه الآية الكريمة رد من الله تعالى على دعوى المشركين الذين زعموا الشركاء وعبدوا الأوثان، بالاستدلال بالكتب وما أُثِر فيها عن الأنبياء مسنداً[36]، فطلبهم بأن يأتوا بكتاب منزل سابق كالتوراة والإنجيل يوثق صدق دعوتهم، أو على أقل تقدير بقية من علمٍ تُروى وتُحكى عن أهل العلم الأولين غير مسطورة في الكتب، من باب توسيع الحجة عليهم، ليكون عجزهم أقطع لدعواهم الباطلة[37]، وورد في تفسير الآية: أن قوله: ﴿ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾ أن كلمة (أَثَارَة) (قُرئت الهمزة بالحركات الثلاث الفتح والضم والكسر، مع سكون الثاء ثم الراء المفتوحة، بالفتح للمروي من الحديث، وبالكسر إِثْرة بمعنى الإِثْرة وهي المناظرة، كونها

---

[33] ينظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص15. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادة (أثر)، ج10، ص18.

[34] ينظر: الوادعي، مقبل بن هادي بن مقبل الهمداني، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، ص225.

[35] ينظر: الأزدي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي، **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج4، ص493. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب**، ج30، ص707. أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص331. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج29، ص225و 228.

[36] ينظر: ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ج20، ص426.

[37] ينظر: البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج5، ص111. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي، **التحرير والتنوير**، ج26، ص11. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج26، ص8.

تثير المعاني، وبالضم اسم ما يُؤثر)[38] -يقصد الباقي المأثور مما لم يطاله التحريف، فقد ثبتت آية الرجم وعلامات نبوة النبي ﷺ في كتب أهل الكتاب والله أعلم-.

وجه الدلالة: دل سياق النص مع قرينة القراءة الواردة هنا على أن المقصود بلفظ الأثر: رواية الحديث بالسند ونقله من الكتب، وأخذه عن الغير.

وفيه إشارة وتنويه إلى المروي منه ما هو باطل لا مستند له، ومنه ما هو حق مستند على البرهان والدليل، لذا لابد من ضرورة تتبع الأثر المروي الثابت المقطوع به من القرآن والسنة والبعد عن الدعاوي الباطلة التي لا تقام بها الحجة، لا سيما في الوقت الحاضر مع تداخل الثقافات المتعددة وانتشار المذاهب الباطلة التي لا تمت للدين بصلة، إذ المناظرة والمحاورة تستلزم بالضرورة تتبع الأثر المنقول الصحيح المكتوب منه والمسموع بطريق التثبت والتحري مع الدقة، وعدم الاستناد على الأقاويل التي لا مستند لها يوثقها.

المعنى الثاني: تتبع الأثر والسير على نهج من سبق، ومنه المحمود، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة:46]، ومثله: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الحديد:27]، فالأثر: ما يتبقى من الشيء للدلالة على وجوده مسبقًا، وجمعه (آثار)، -ولعل المقصود به هنا: الأثر المتبقي من دين الأنبياء قبل عيسى عليه السلام وكتبهم، والدال على وجودهم وقيامهم بأمر الله تعالى من الدعوة إلى التوحيد والله أعلم-، فقوله: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ عدّى لفظ ﴿ ءَاثَٰرِهِم ﴾ بـ ﴿ عَلَىٰٓ ﴾ ليضمّن ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ معنى المجيء، أي: جئنا بعيسى عليه السلام يقتفي ويتبع آثار الأنبياء قبله نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، موافقًا لهم في التوحيد، وفي بعض الشرائع[39]، وفيه دلالة على صدق الأنبياء، والذب عن عيسى عليه السلام، مما نُسب إليه افتراءً وزورًا[40].

---

[38] ينظر: الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ج2، ص264.

[39] ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، **بحر العلوم**، ج1، ص394.

[40] ينظر: أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص277.

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص هنا على أن المقصود بكلمة الأثر هنا تتبع الأثر الباقي من نهج وشرائع الأنبياء الثابت بشرع الإسلام مما ينبغي تتبعه والعمل بمقتضاه اقتداءً بهم وفق ما أمر به الله تعالى في كتابه. فتتبع آثار الأنبياء والاقتداء بهديهم والسير على نهجهم مما حث عليه القرآن وندب إليه، إذ هو سبيل النجاة والفلاح، وطريق الوصول إلى الحقائق القطعية الثابتة بالنص، دلَّ عليه قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:90].

ومن التتبع والتقليد نوع مذموم، كتتبع الآباء والأجداد وتقليدهم على فكرهم ومعتقدهم الضال بلا مستند صحيح، لا من نقل صريح ولا من عقل صحيح، ولا فطرة سوية، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ٧٠ ﴾ [الصافات:69-70]، وبهذا احتجوا على إبراهيم عليه السلام لما أقام الحجة على قومه ببطلان عبادتهم الأوثان، فأجابوه بما حكاه القرآن: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ﴾[الزخرف:22-23]، والمعنى: أنهم يسارعون إلى اتباع وتقليد آبائهم بالاقتداء بهم و تتبع أثرهم والسير على نهجهم الضال، بلا تفكير ولا تبصر، وفيه ذم لفعلهم؛ إذ تقليد الآباء والأجداد في الدين بلا دليل ولا برهان، بل وترك الانصياع للدليل الساطع والبرهان القاطع مذموم منهي عنه[41]، وأنَّ هذه الحجة هي شأن جميع الأمم الضالة السابقة، فقد ردَّ الله تعالى على شبهة المشركين الذين زعموا أن عبادتهم للملائكة إنما وقعت بمشيئة الله تعالى، افتراءً منهم وجورًا، إذ صنيعهم لا يعدوا كونه تقليد ممقوت للآباء والأجداد، شأنهم في ذلك شأن سابقهم من الأمم التي كذبت بالرسل[42]، فالآية تسلية وتعزية للنبي ﷺ ، وتعليل لاستحقاقهم العقوبة[43].

---

[41] ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج22، ص427. فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب**، ج26، ص338.

[42] ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج25، ص130.

[43] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج22، ص427. فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج26، ص338. الزحيلي، **التفسير المنير**، ج25، ص130.

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص على أن كلمة الأثر هنا يقصد به تتبع الأثر المتبقي من أقوال وأفعال الآباء والأجداد مما لا مستند له شرعي يُرجع إليه، فهو تقليد وتتبع مذموم.
وللأسف هذه حجة كل من يتمسك بحظوظ الدنيا المخالفة للدين، بما في ذلك العادات والتقاليد المخالفة للشرع الإسلامي ويفضلها، مقلدًا السفهاء والجهلة، متبعًا لآثارهم، موافقةً لهوى نفسه، في كل زمان ومكان.

المعنى الثالث: الأثر هو العمل الذي يعمله الإنسان خيرًا أو شرًا، ويُجازى عليه، ومنه قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [الكهف:6]، فقوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ ﴾ تضمن استعارة تمثيلية لبيان حال النبي ﷺ مع قومه وحرصه على هدايتهم وشفقته عليهم لضلالهم وسوء عملهم، فجاء النهي عن إهلاك نفسه، أي: لا تهلك نفسك حُزنًا وشفقةً عليهم من بعدهم عن الحق بسبب أعمالهم وإعراضهم عن الحق[44].

وجه الدلالة: دل سياق النص هنا على أن معنى الأثر هنا هو العمل الذي يُجازى عليه الإنسان، فهو مما يبقى شاهدًا عليه في الدنيا فيُقال: هذا فلان صالح وهذا فلان طالح، ويثبت مكتوبًا في صحفه ويُحاسب عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وعمل صالح.
وهنا نكتة بليغة: وهي التنبيه على العمل وما ينتج عنه من العاقبة، فمن يعمل مثقال الذرة من خيرٍ أو شرٍ يُجزى به، فيلزم ضرورة مراقبة الله تعالى في السر والعلن.

المعنى الرابع: الأثر الحسي الذي يتركه قدم السائر على الأرض، من ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢ ﴾ [يس:12]، ورد في سبب نزول هذه الآية: عن ابن عباس ﷺ قال: (كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد، فنزلت)، فقالوا: نثبت في مكاننا[45]، وفي الحديث: (أراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد»، قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: «يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم،

---

[44] ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، **بحر العلوم**، ج2، ص335. الزحيلي، **التفسير المنير**، ج15، ص202.
[45] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج19، ص409. الوادعي، مقبل بن هادي بن مقبل الهمداني، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، ص173.

دياركم تكتب آثاركم»)[46]، وقال رسول الله ﷺ :«من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله؛ ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»[47]، فالمقصود بقوله: ﴿ وَءَاثَٰرَهُمۡ ﴾ الآثار جمعٌ، مفرده أَثَر، والمعنى، أي: خطاهم بأرجلهم[48]، فالله تعالى يكتب لهم بكل خطوة إلى المسجد حسنة، ويحط بها عنهم سيئة.

وجه الدلالة: دل النص مع قرينة سبب النزول الواردة على أن المقصود بالأثر هو أثر القدم الذي يتركه الماشي على الأرض، القاصد للمسجد لأداء الصلاة، وأنه يُكتب له بخطواته وسيره على الأرض الحسنات وتحط به عنه السيئات.

فالأدلة السابقة فيها بيان فضيلة المشي إلى المساجد، – ولعله يشمل المشي إلى كل عمل صالح؛ إذ أن كل ذلك يكتب في كتاب مبين ويجازى العبد عليه إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، والله أعلم–.

وفي قصة موسى عليه السلام مع قومه لما سار لملاقاة ربه مسرعًا مشتاقًا، قال: ﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ ﴾ [طه:84]، هذه الآية تحكي موقفه عليه السلام واستباقه قومه، وتعجله إلى لقاء ربه شوقًا لمناجاته، ورغبةً في تلقي الشريعة، التي فيها خيرٌ له ولقومه، وسؤال الله تعالى له عن سبب تعجله؟، فأجاب بكونهم سيأتون على أثره، والأَثَر: بفتحتين، ما يتركه الماشي على الأرض من علامات، سواء بالقدمين أو الخف أو الحافر، وقرأ يعقوب: "على إِثْرِي"، بكسر الهمزة وإسكان الثاء[49]، وهو بمعنى أَثَر، لغتان[50]، والمعنى: أنهم على إثره، موالين له، قريبين منه، يتتبعون أثر قدميه، وفيه دلالة على قرب المسافة بينهم، فآثار قدميه باقية لم تمحى بعد[51]، –فجاءت القراءة الثانية موضحة للقراءة الأولى، والله أعلم–.

---

[46] النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، رقم 665، ج1، ص462.

[47] النيسابوري، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، رقم 666، ج1، ص462.

[48] ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج19، ص411، ونسبه لمجاهد. القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص12.

[49] ينظر: محمد إبراهيم سالم، **فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات**، ج3، ص440. وعزاه لرويس.

[50] ينظر: القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص233.

[51] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، ج16، ص278.

وجه الدلالة: دل سياق النص القصصي على أن المقصود بالأثر هنا هو الأثر الذي يتركه الماشي بقدميه على الأرض، والذي يتتبعه القوم للحاق بموسى عليه السلام، ليتمكنوا من معرفة مكانه على وجه التحديد.

ثم ذكر عاقبة تعجل موسى عليه السلام من فتنة قومه، نتيجة ما فعله السامري الذي قبض قبضة من أثر حافر فرس الرسول (جبريل) عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝٩٦ ﴾ [طه:95-96]، حيث توجه موسى عليه السلام لمخاطبة السامري، وسأله عن الخطب الذي حمله على صناعة العجل وعبادة القوم له، فكان جوابه بأنه بصر -وهو غاية الإبصار- بما لم يبصره القوم، فرأى جبريل حين جاء لهلاك فرعون، فقبض بكفه من أثر فرس جبريل -وهذا المشهور بين المفسرين-، وألقى به على العجل.

وجه الدلالة: دل سياق النص القصصي هنا على أن المقصود بالأثر هنا: هو الأثر الذي تركه حافر الفرس على الأرض[52].

وفي رحلة موسى عليه السلام للبحث عن العبد العالم بمجمع البحرين الذي لديه علم لم يحط به موسى عليه السلام؛ رغبةً منه في العلم، فلما جاوزا المكان المقصود، حيث نسيا الحوت عند الصخرة، قال: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ ﴾ [الكهف:64]، (قص الأثر: تتبعه وتطلبه في موضع خفائه)[53]، والمعنى: فرجعا إلى طريقهما يتتبعان آثار مشيهما، لئلا يخطئان طريقهما، حتى انتهيا إلى الصخرة، فوجدا العبد الذي آتاه الله العلم[54].

وجه الدلالة: دل سياق النص القصصي هنا على أن المقصود بالأثر: تتبع آثار القدمين على الأرض وتقفيه على وجه الدقة، للوصول إلى المكان المطلوب، والحذر من سلوك الطريق الخاطئ.

وهذا جانب له من الأهمية بمكان إذ لابد على المؤمن أن يحرص على تقفي الأثر الصحيح الظاهر منه والخفي حتى لا يقع في الخطأ، أو يتوه ويضيع، خاصة ما يتعلق بتنظيم شؤون حياته، ولهذا صار من الأمور

---

[52] ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن،** ج3، ص273. ابن كثير البصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم،** ج5، ص275.

[53] ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** ج3، ص529.

[54] ينظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز،** ج3، ص529. ابن كثير البصري، **تفسير القرآن،** ج5، ص158.

الحتمية وضع الارشادات والأدلة الحسية سواء المكتوبة أو المرئية أو المسموعة، فوقت المؤمن ثمين ولابد من استثماره بدلا من تضييعه والسير على غير هدى، واغتنام الفرص الموصلة إلى العلم النافع والأثر الصالح الذي يبقى ذخرًا بعد الممات.

المعنى الخامس: الأثر بمعنى الفضل والتفضيل والاختيار، والأثرة بالشيء، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يوسف:89-91]، جاء لفظ الأثر بصيغة الفعل الماضي، تأكيدًا على ثبوت الأثرة ليوسف عليه السلام منذ الصغر، -والله أعلم-، فقوله: ﴿ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ ﴾ أي: فضّلك، فأخبر الله تعالى في الآية عن الحوار الذي دار بين يوسف عليه السلام وإخوته، بعدما أصابهم الجهد والضيق وقلة الزاد، فبادرهم بالسؤال على وجه العتاب والتوبيخ لما فعلوه بيوسف وأخيه، فأدركوا أنه أخوهم يوسف، واعترفوا بخطئهم، وأقروا له بالفضل والأثرة عليهم في الخَلق والخُلق والملك والسلطان وسعة النفوذ والتصرف والنبوة[55].

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص القصصي على أن المقصود بالأثر هنا: الاختيار والتفضيل، فقد اصطفى الله تعالى وفضل نبيه يوسف عليه السلام واجتباه بالنبوة والعلم والحلم والسلطة والنفوذ، بمشيئته واختياره وحكمته البالغة.

وإن ما نشاهده اليوم من التحاسد والتباغض لأجل حظوظ الدنيا الفانية كنحو منصب أو فضل مال أو تملك عقار، مما فضَّل الله تعالى به بعضهم على بعض، مما لا يحسن بالمسلم التخلق به، بل لابد من الرضى بما قسمه الله تعالى فهو الخير، والله أعلم بما يصلح به شؤون عباده.

ومن هذا الباب: جاء لفظ (أثر) بصيغة الفعل المضارع للمخاطب، كما في حكاية سحرة فرعون الذين آمنوا لما تبين لهم الحق، بعد المناظرة التي جرت بينهم وبين موسى عليه السلام أمام الملأ، تأكيدًا لموقفهم وثباتهم، وردًّا على تهديده لهم بالتقطيع والصلب، ومطالبته لهم بالرجوع عن إيمانهم ما قصَّه القرآن من الثبات الراسخ

---

[55] ينظر: أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، ج6، ص321. ابن كثير البصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص350.

علـى التوحيـد :﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ ﴾ [طـه:72]، فقـولهم: ﴿ لَن نُّؤۡثِرَكَ ﴾ أي: لـن نختـار اتباعـك بعـد البينـات والمعجـزة الـتي جـاءت وثبـت صـحتها، بثبـوت ربوبيـة الله تعـالى، ولـذا عـبروا بقـولهم: ﴿ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ﴾، على العلة التي لأجلها آثروا الإيمان على الكفر، حيث أقسموا بالله بفعله وهو كونه (فاطر) أي: الخالق المبدع، المتفرد بذلك[56]، وفي هذا توهين لفرعون واستصغار لتهديده وعدم اكتراث به، كون حكمه في الدنيا، أما غايتهم ومطلبهم فهو السعادة في الآخرة[57].

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص القصصي على أن المقصود من كلمة الأثر هنا: الاختيار والإيثار والتفضيل، فقد آثر السحرة بعد إيمانهم ما هم عليه، فعندما هددهم فرعون وطلب منهم العودة إلى ما كانوا عليه من الكفر، اختاروا الثبات على الدين وفضلوه؛ لأنه الحق، ورغبةً فيما عند الله تعالى من النعيم الدائم.

وهـذا مـا ينبغي أن يكـون عليـه حـال المـؤمن التقـي أن يـؤثر مـا عنـد الله تعـالى، ويـؤثر الآخـرة علـى الـدنيا وأعراضـها الفانيـة إن كانـت تتعـارض مـع أحكـام الشـريعة وتنافيهـا، ولا ينسـى حظـه مـن الـدنيا، كمـا قـال تعـالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ [القصص: 77].

ومنه: وردت كلمة (الأثر) بصيغة الفعل المضارع، -الدال على الحدوث والتجدد-، حكاية عن ثناء الله تعالى على المؤمنين من الأنصار بجملة من الأوصاف الجميلة، من محبة الله ورسوله ومحبة أحبابه، ممن أحبوا نصرة الدين، وسلامة صدورهم من الغل والحسد، وما امتازوا به عن غيرهم من إيثارهم لإخوانهم المهاجرين إلى المدينة، ومقاسمتهم لدورهم وأموالهم ومطعمهم ومشربهم[58]، فهذا شأنهم حتى مماتهم، لكل من جاءهم مهـاجرًا، قـال تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن

---

[56] ينظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، **محاسن التأويل**، ج7، ص135.

[57] ينظر: فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب**، ج22، ص78. أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، ج7، ص359.

[58] ينظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج10، ص143.

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر:9]، ورد في سبب نزول الآية: «أن رجلًا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ من يضم أو يضيف هذا؟، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونوّمي صبيانك إذا أرادوا العَشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونوّمت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُرِيانه كأنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ضحك الله الليلة أو عجب من فِعَالكما»، فأنزل الله تعالى الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾...»[59]، وحذف مفعول الإيثار، توسعًا ليضمّن كل ما يندرج تحته من الأموال والمنازل وغيرها، فالإيثار هنا: تقديم مصلحة الغير وإيثارهم بما تحبه النفس من الأموال ونحوها، مما يُحتاج إليه ضرورة مع الخصاصة -أي شدة الحاجة-، كونه ناتج عن محبة، وصبر على المشاق، ويقين بما عند الله تعالى[60]، وعبّر عن وصفهم بصيغة الغائب التفاتًا للسامعين إلى صفاتهم، وانتقالًا بالكلام من أسلوب إلى آخر ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو﴾ ﴿ يُحِبُّونَ ﴾ تطرية واستدرارًا للسامعين -والله أعلم-.

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص مع قرينة سبب النزول الواردة، على أن المقصود بالأثر هنا: الإيثار وتقديم مصلحة الغير على مصلحة النفس بما تحبه وترغب فيه من الأموال والمنازل ونحوها، لا عن غنى، بل مع شدة الحاجة إليه والفقر، رغبةً فيما عند الله تعالى من الخير والفضل والأجر، وهذا من الإيثار المحمود الذي رغب فيه القرآن، وأثنى على المتصفين به.

إن إيثار محاب الله تعالى وما يرضيه، وتقديم مصلحة الغير على مصلحة النفس مع شدة الحاجة خُلق جميل ندب إليه الشرع وامتدح به السابقين من الأنصار، مع سلامة الصدر من الغل والحقد والحسد، ولا شك

---

[59] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، باب قول الله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، رقم 3798، ج5، ص34. النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم 2054، ج3، ص624. الوادعي، مقبل بن هادي بن مقبل الهمداني، **الصحيح المسند من أسباب النزول**، ص208.

[60] ينظر: القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج18، ص26. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص850. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج28، ص77.

أن الاتصاف بهذا الخلق له شأنه العظيم في وحدة المجتمع المسلم وتماسكه وألفته، وتعاضده كالجسد الواحد، بما لا يجعل للمغرضين مسلك وطريق للتفريق بينهم، وزعزعت وحدتهم.

وفي المقابل ما جاء في وصف الكافرين من الإيثار للدنيا، وحب الاستئثار بها؛ موافقةً لهوى النفس، وطغيانًا واستكبارًا عن الحق، وإيثار وتقديم عاجل نعيم الدنيا وتفضيله على نعيم الآخرة[61]، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات:37-39]، فمن قدَّم هوى نفسه وشهواتها وآثر حياته الدنيا وملذاتها، ففضلها على أمر دينه وآخرته، متناسيًا الآخرة، تاركًا الاستعداد لها بالعمل، فمآله إلى الجحيم[62]، فالأثرة بحظوظ الدنيا المخالفة للشرع وتقديمها على أمور الدين مما ذمَّه القرآن، -وجاء هنا بصيغة الماضي؛ تقليلًا لشأنهم، بحيث لا يستحقوا توجيه الخطاب لهم، وليدل على أن هذا الشأن إنما كان منهم في الدنيا، وثبت حالهم عليه حتى كانت مجازاتهم عليه في الآخرة، والله أعلم-.

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص القرآني على أن المقصود بالأثر هنا: هو الأثرة وتقديم الدنيا وفتنها وملذاتها المخالفة للشرع، وتفضيلها على الآخرة ونعيمها، انسياقًا للهوى وطمعًا في اللذة العاجلة.

وبنحوه قوله: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى:16-17]، فذكر كلمة الأثر بصيغة الفعل المبدوء بتاء المخاطب، والخطاب هنا: للكفار، لمزيد التقريع في المحاسبة، فالإيثار: اختيار شيء على شيء، لكنه لم يذكر المؤثر عليه، لكونهم لا يؤمنون بالآخرة[63]، فيكون المعنى: بل تقدمون وتفضلون الحياة الدنيا الفانية، وتبدونها على ما فيه صلاحكم في معاشكم ومعادكم، فمثل هذا لا يكون من عاقل[64]؛ ولذا قدّم إيثار الدنيا على ذكر فضل الآخرة، كون الدنيء يقدّم الدنايا، وتنفيرًا من هذا الصنيع[65]، وقيل: خطاب للبر والفاجر، ذلك أن البر يؤثِر ويفضل الدنيا للاستزادة من الطاعة

---

[61] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، ج30، 92.

[62] ينظر: ابن كثير البصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص319. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص910. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج30، ص49.

[63] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج30، ص91.

[64] ينظر: ابن كثير البصري، **تفسير القرآن العظيم**، ج8، ص374.

[65] ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، ج21، ص406.

والحسنات، والفاجر يؤثِرها ويفضلها رغبةً فيها وتلذذًا بالشهوات[66]، فللمؤمنين نصيب من الموعظة في هذه الآية، فمن أخذ بحظه من الدنيا مع الأخذ بأسباب النجاة، كان له أوفر الحظ والنصيب في الدنيا والآخرة، ومن فرط في حظه من الآخرة، وأولى عنايته وتفضيله لدنياه، مؤثِرًا لها على آخرته، كان وبال ذلك وخيمًا عليه[67].

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص القرآني على أن المقصود بالأثر هنا: تقديم الدنيا وملذاتها الفانية المخالفة للدين، وتفضيلها على الآخرة ونعيمها، اتباعًا للهوى وميلًا للذة الفانية، وأن ذلك مذموم منهي عنه.

هذه الآيات فيها توبيخ وتقريع شديد لمن آثر الدنيا وملذاتها وقدمها على الآخرة، وفضل النعيم الفاني على النعيم الدائم، واللذة العاجلة المحرمة على اللذة الآجلة المباحة، دل عليه توجيه الخطاب المباشر محاسبة لهم، مع ما دل عليه الفعل من تجدد حدوثه منهم، وفيها تنويه وتنبيه على العاقبة المترتبة على هذا الاختيار، فالإنسان مخيَّر مختار، ولابد له من التبصر في أموره. ونخلص للقول: بأن الأثر بمعنى الإيثار والتفضيل منه ما هو محمود مندوب إليه، ويترتب عليه المثوبة والفضل، ومنه ما هو مذموم منبوذ العمل به، ويترتب عليه العقوبة والوبال.

المعنى السادس: أثر الشيء الحاصل الدال على وجوده، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾ [الروم:50]، قرئ قوله: ﴿ ءَاثَٰرِ ﴾ بالإفراد، كونه يعود على رحمة الله، كما قرئ بالجمع، لتعدد الآثار الناتجة[68]، وأثر الشيء: ما ينتج من حصول أمر ليدل على وجوده بظهور علاماته، فرحمة الله تعالى بخلقه دلت عليها الآثار والنتائج الظاهرة من نزول الغيث وإحياء البلاد والعباد، وإنبات الزرع والأشجار ومختلف الثمار[69]، كما أن إحياء الأرض بعد موتها دليل على إمكانية البعث بعد الموت، ففي هذه الآية الكريمة أقام المولى جل شأنه الحجة الدامغة والبرهان القاطع على وجوده وضرورة وحدانيته ورحمته بخلقه، فهو سبحانه مرسل الرياح ومنزل المطر، بعدما قنط الناس وأيسوا من نزول الغيث وأصابهم

---

[66] ينظر: أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، ج10، ص458.

[67] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، ج30، ص92.

[68] ينظر: ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، **حجة القراءات**، ص561. ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج4، ص342.

[69] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج21، ص123.

الجدب، ولذلك عقب بقوله: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ ﴾، وبالتأمل الدقيق والنظر يتأكد لنا القدرة الإلهية التامة عن طريق الاستدلال بالشاهد (الآثار الناتجة) على الغائب (إمكانية البعث والنشور ليوم المعاد)[70].

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص القرآني على أن المقصود من بالأثر هنا: الأثر الناتج من نزول المطر من إحياء البلاد والعباد، الدال على رحمة الله بعباده، وقدرته التامة على إحياء الموتى، واستحقاقه للعبودية المطلقة.

كما ذكر الله تعالى في كتابه آثار الأقوام السابقين الدالة على وجودهم وقوتهم، فقال: ﴿ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴾ [غافر: 21]، الخطاب في الآية للمشركين عامةً، على وجه الموعظة والتحذير، وأحالهم على السير بأبدانهم، والنظر بأبصارهم، والتفكر بقلوبهم وعقولهم في الآثار[71] الباقية الدالة على وجود الأقوام السابقة كعاد وثمود[72]، وما حلّ بهم من العقوبة، مما شاهدوه في رحلتيهم بالشتاء والصيف، وبما حدَّثوا به أقوامهم في مجالسهم ونواديهم، بحيث صار معلومًا للجميع[73]، فإن السابقين كانوا أشدَّ قوةً من حيث العَدد والعُدد، والقدرة الجسدية وكبر الأجسام، وأشدَّ تمكنًا [74]و﴿ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الآثار جمع أثر، وإنما جمعت لتعددها، ومن جملتها: المدن الحصينة، والقصور، والقلاع، والغراس، والمصانع[75]، فأثَّروا في الأرض وتركوا فيها آثارًا مازالت قائمة تدل على وجودهم السابق وقوتهم وشدتهم، بما لا يستطيع المشركون فعله في زمانهم[76]، إذ شدة وقوة الأثر دالة على شدة المؤثر فيها وشدة بأسه ومنعته بها[77]، وهم مع ذلك كله لم يكن لهم من الله

---

[70] ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج21، ص104.

[71] ينظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص735.

[72] ينظر: البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج5، ص55. الزحيلي، **التفسير المنير**، ج24، ص98.

[73] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، ج24، ص119.

[74] ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج5، ص55. الزحيلي، **التفسير المنير**، ج24، ص98.

[75] ينظر: أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، ج9، ص248.

[76] ينظر: ابن كثير البصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص125.

[77] ينظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص735.

من واق ولا حصين بل أصابهم العذاب وأبادهم فلم يبق منهم أحدًا، بسبب كفرهم ومعاصيهم التي أصروا عليها[78].

ثم أعاد التذكير والأمر بالنظر والتفكر في عاقبة السابقين في نفس السورة، بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [غافر:82]، فتكرار التذكير والتهديد فيه إشارة إلى ضرورة أن يختار الإنسان لنفسه الطريق السوي، فهو بعد هذا التذكير إما أن يكون ممن تحركهم نخوة الإنعام المتفضل به عليه عن كفران واهبها كما هو شأن الكرام، وإما أن يكون ممن يزجره الخوف من بطش الله تعالى كما هو ديدن اللئام[79].

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص في الآيات السابقة على أن المقصود بالأثر هنا: البقية الباقية من المباني والقلاع والحصون الدالة على وجود الأقوام السابقة، وشدة قوتهم، وما حصل لهم من الهلاك الذي دمرهم ودمر آثارهم المبنية بقوة وشدة، فلم تغن عنهم قوتهم ولا قوة آثارهم، فالله تعالى ذي القوة المتين شديد العقاب على الكافرين المعاندين.

ويجدر التنويه إلى أن من أسباب حصول الهداية النظر والتأمل في آثار رحمة الله بعباده، وقدرته على النفع والضر، وتحقيق مصالح العباد والبلاد، كما أن النظر في آثار غضب الله تعالى من الأقوام السابقة بكفرهم وعنادهم، الذي أدى إلى هلاكهم ودمارهم، يتحصل به العظة والاعتبار، وهذا باب عظيم يحسن الالتفات إليه وعدم التغافل عنه.

وما حكاه في وصف المؤمنين الذين آزروا النبي ﷺ ونصروه، يُعد من أروع أوصاف البيان: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:29]، فكان من جملة

---

[78] ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج5، ص55. السعدي، **الكريم الرحمن**، ص735.

[79] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، ج24، ص119.

أوصافهم التي ذكرهم بها في كتبه السماوية السابقة على وجه الثناء والرفعة لشأنهم والمدح بجميل خُلقهم وإخلاصـــــهم، ﴿ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ فكانوا رضوان الله عليهم كثيري الصلاة، فزكَّاهم بأفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى وهي الصلاة[80]، -دلّ على ذلك صيغة المبالغة في ﴿ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾ فعبّر عن الصلاة بركنها الدال على الخشوع والتذلل[81]، المتميز عن ركوع وسجود الكفار والمرائين[82]، فهم يبتغون بصلاتهم الفضل (الجنة)[83]، والرضا من الله تعالى، محتسبين الأجر، بإخلاص العمل، فكان أن نتج عن صلاتهم الحسنة السيما والعلامة الباقي أثرها في وجوههم؛ الدالة على جميل صنيعهم وحسن صلاتهم، وكثرة سجودهم لله تعالى تذللًا وخضوعًا لهيبته وعظمته جل وعلا[84]، وقراءة الجمهور ﴿ أَثَرِ ﴾ بالفتح ، كما قُرِئ (آثار) بالجمع[85]، ومعناه: التأثير الناتج عن كثرة السجود على الأرض[86]، وذكر المفسرون، جملة من أقوال الصحابة والتابعين في بيان المقصود به، منها: السمت الحسن، وقيل: الخشوع والتواضع، وقيل: الحسن واستنارة الوجه[87]، – ولعل الأولى أن يشملها جميعًا[88]؛ بدليل قراءة الجمع لكلمة الأثر، وما نشهده من حسن خلق المصلين واستنارة وجوههم، فالأثر الظاهر عقب السجود متعدد: منه ما يكون يوم القيامة، من الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل، من أثر الوضوء، وبياض الوجه، من أثر السجود، قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ ﴾ [آل عمران:106]، ومنه ما يكون في الدنيا، وهو نوعين: الأول: حسي

---

[80] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، ج26، ص205.

[81] ينظر: العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، **شرح رياض الصالحين**، ج6، ص52.

[82] ينظر: فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي، **مفاتيح الغيب**، ج28، ص89.

[83] ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، ج20، ص221.

[84] ينظر: ابن كثير البصري، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ج7، ص337. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص795.

[85] ينظر: البناء، أحمد بن محمد بن أحمد، **اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، ص510. وعزاه للحسن.

[86] ينظر: أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي، **البحر المحيط في التفسير**، ج9، ص501.

[87] ينظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج9، ص501. ابن كثير، **تفسير القرآن**، ج7، ص337. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص795.

[88] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج21، ص225.

يظهر في الجباه بسبب كثرة السجود، من بقايا التراب والطين، أو تغير لون الجلد، بلا تكلف لحصوله. والآخر: معنوي: ما يظهر من حسن السمت والخشوع والتواضع[89].

وجه الدلالة: دلَّ سياق النص القرآني مع قرينة القراءة الواردة على أن المقصود بالأثر هنا: النتاج الحاصل والتأثير عن كثرة السجود على الأرض، فيظهر علامة ذلك في الوجه، في الدنيا والآخرة، ليدل على عمل المؤمن الصالح (الصلاة).

إن القرآن هدى ونور يهدي به الله من اتبع واقتفى آثار الأنبياء والمهتدين بنهجهم، ومن أولى الأعمال التي يحاسب عليها العبد ويحسن به العناية بها (الصلاة) والاهتمام، اقتداءً بالسلف الصالح، ولما لها من تأثير ظاهر جلي في حياة المسلم حسيًا ومعنويًا.

دلالة السياق والقرائن على المشترك اللفظي (أثر):

من خلال الدراسة للآيات الواردة في كلمة (الأثر)، ثبت أنها من المشترك اللفظي، بدلالة القرائن التي بها يتضح المعنى أو يترجح على غيره، وهي كما يلي:

- معرفة السياق اللفظي للنص القرآني، إذ عليه يتوقف فهم النصوص، ومن خلاله يتحدد المعنى المراد، ويدفع ما قد يتوهم من اللبس والخلط، فترتيب سياق آياته وسوره التوقيفي، من خلال تناسب آياته وسوره، وتناسق معانيه ودلالاته، يتطلب الوقوف عليها للوصول إلى المقصود[90].
- التسلسل اللفظي لمشاهد القصص القرآني له حضور بالغ الأثر في تحديد الدلالة اللفظية، وترجيح أحد المعاني على غيرها، واختيار المعنى الأنسب للمقام، وعدم الاقتصار على المعاني القاصرة التي لا تليق بجلال النص القرآني[91].
- قرينة سبب نزول الآية، ومناسبتها للواقعة فيما يتوقف عليه فهم النص، مما يعين على الفهم الصائب، أو يزول بمعرفته الإشكال والغموض[92].

---

[89] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج21، ص225. فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج28، ص89. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، **التحرير والتنوير**، ج26، ص206.

[90] ينظر: زيد عمر عبد الله، **السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني**، بحث منشور على موقع شبكة الألوكة، استرجع بتاريخ:10-6-1443هـ، الرابط: https://www.alukah.net/sharia/0/431/#ixzz7HnzmenT3

[91] ينظر: ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب، **تفسير القرآن الكريم المسمّى تفسير ابن القيم**، ص278، عند تفسيره لسورة الأعراف آية 56.

[92] ينظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري الشافعي، **أسباب نزول القرآن**، ص8.

- ومن القرائن: بيان النبي ﷺ فهو أفصح العرب وأعلمهم بمراد الله تعالى في كتابه، وبيان أصحابه المعاصرين له ولأحداث نزول الآيات، والتابعين لهم، لفصاحتهم ومعرفتهم بالعربية، فيقدم قولهم على غيرهم في فهم النصوص القرآنية[93].
- ما أضفاه علم القراءات من بيانٍ مؤثر للمعنى، فهي إما تضفي معنى جديدًا مختلفًا للفظ، أو توضح القراءة الأخرى.

وجوه الإعجاز البياني في المشترك اللفظي (أثر):

1- تصرف كلمة (أثر) تارة اسمًا (آثارا) وتارة فعلًا (يؤثرون / تؤثرون)، فيه مزية بيانية معجزة، حيث اختار الله تعالى لكل موضع ما يناسبه، فحيث أراد معنى الثبوت والاستمرار جاء بها اسمًا فآثار الأمم السابقة ما زالت باقية لتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم، وحيث أراد بها معنى الحدوث والتجدد جاء بها فعلًا ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ فهذا فعلهم في الحال ولا يزالون عليه في مستقبل أمرهم.

2- الالتفات بالخطاب في كلمة (أثر) مرةً للمخاطب ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ﴾، وأخرى للغائب ﴿ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾، والانتقال من أسلوب إلى آخر، تارة فعلًا ماضيًا ﴿ وَءَاثَرَ ﴾، وحينًا مضارعًا ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ﴾، وقد يكون في الانتقال في نفس الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ ﴾ و ﴿ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾؛ تطريةً، واستدرارًا للسامع، وتجديدًا لنشاطه، مع ما يصاحبه من المعاني البلاغية المقصودة من الثناء أو الإهانة، ومن المدح أو الذم، ومن رفعة الشأن أو التنقيص، كل ذلك في تناسق بديع، متناسب مع السياق ودلالة اللفظة في الآية.

3- مجيء كلمة (أثر) مفردة للاهتمام ﴿ مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ اهتماما بالصلاة وما تتركه من أثر في المحافظين عليها، ومجموعة للتكثير ﴿وَءَاثَارَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فعلى الرغم من كثرة آثارهم وعظمها لم تغن عنهم شيئًا، أو مثناة للتأكيد ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصَا ﴾ تأكيدًا على تتبع كل واحد منهما للأثر خشية أن يضلا طريقهما لا سيما مع خفائه.

---

93 ينظر: ابن تيمية الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، ج13، ص364.

4- عدول كلمة (أثر) من الجمع إلى الإفراد، ومن الإفراد إلى الجمع، يُعد من صور المجاز البلاغي القرآني، لما لهذا التغاير من التأثير على القارئ والسامع، ولما يحتمله من التوسع كما في ﴿ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾، وقد يقصد به التفخيم والاهتمام، كما في قراءة (أثر رحمة الله)، أو إرادة الكثرة نحو قراءة (آثار السجود).

5- تعاقب لفظ (أثر) على المعنى الحسي والمعنى المجازي (المعنوي)، أو شموله لهما معًا، كما في قوله: ﴿مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ فمنه الأثر الحسي ومنه الأثر المعنوي.

6- تصرف كلمة (أثر) إلى معان متعددة مختلفة، صورة من صور المجاز البلاغي البياني المعجز، وهذا وإن كان معروفًا مألوفًا من لغة العرب إلا أنهم لم يتمكنوا من الإتيان بمثل هذا النسق البياني.

هذه مقتطفات يسيرة تلمستها في هذه العجالة، وإلا فالإعجاز أبلغ وأعجب مما حوته هذه الأسطر القليلة.

الخاتمة

الحمد لله على التمام والكمال، وجميل التفضل بحسن الاختيار، فآثرني بدراسة المشترك اللفظي في لفظ (الأثر)، وكان من نتاجها الآتي:

1- أن المشترك اللفظي ثابت في القرآن الكريم، وهو صورة من صور إعجازه البياني، وهو علم مشترك بين علوم الشريعة واللغة، ذا تأثير في البيان والمعاني، والإحاطة بالمدلولات، ويترتب على معرفته أحكام شرعية، ومقاصد لفظية، يلزم معرفته والعلم به، لإزالة الغموض واللبس.

2- ثبوت اعتبار كلمة (الأثر) من المشترك اللفظي، فهي كلمة واحدة ذات معانٍ متعددة، متباينة عن بعضها، ووردت في (21) موضعًا في القرآن الكريم، وثبوت الإعجاز البياني لهذه الكلمة.

3- من دلالات كلمة (أثر) البقية من العلم تُروى، وهي تشمل ما رُوي عن شرار الخلق، وما رُوي من الحديث والخبر الصحيح، ويفصل بينهما قرينة السياق اللفظي.

4- من دلالات كلمة (أثر): تتبع الأثر والسير على نهج من سبق، ومنه الاتباع المحمود المستند على الدليل والبرهان، ومنه التقليد المذموم الذي لا مستند له يدل على صحته فضلا عن مخالفته للفطرة والمعقول، دل عليه سياق النص وما يترتب عليه من عاقبة.

5- من دلالات كلمة (أثر): العمل الذي يعمله الإنسان خيرًا أو شرًا، ويُجازى عليه، كونه أثره الذي يتركه بعد وفاته فيذكر به، ويحاسب عليه.

6- من دلالات كلمة (أثر) الأثر الحسي الذي يتركه قدم السائر على الأرض، ليسترشد به في سلوك طريقه الصحيح، ويندرج معه الأثر الذي يتركه المرء ويكتب له به الحسنات أو عليه من السيئات، فمن سلك طريقًا للخير كتب له، ومن سلك طريقًا للشر كتب عليه.

7- من دلالات كلمة (أثر) ورودها بمعنى الفضل والتفضيل والاختيار، والأثرة بالشيء، ومنه الممدوح المحمود العاقبة كونه إيثار لمرضاة الله تعالى، ومنه المرذول المذموم العاقبة؛ كونه إيثار للدنيا وملذاتها العاجلة الفانية المعارضة لأوامر الله تعالى.

8- من دلالات كلمة (أثر) أنها أثر الشيء الحاصل سواء كان أثرا حسيًا أو معنويًا، وسواء كان أثرًا واحدًا دالًا على الجمع، أو آثارًا متعددة كثيرة.

9- أن معرفة معاني المشترك اللفظي في كلمة (أثر) المقصودة في النصوص القرآنية متوقفة على معرفة دلالة السياق اللفظي، والقرائن المقترنة به كسبب النزول والقراءات، والأحاديث المروية عن النبي ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين ﷺ.

10- زوال اللبس الحاصل حول معنى كلمة (أثر)، إذ لا يقصد بها الأخبار المروية والروايات عن السابقين فقط كما يتبادر إلى الأذهان عند ذكرها، بل تتعدد معانيها بحسب القرائن المقترنة بها.

التوصية

إن المشترك اللفظي باب عظيم من أبواب البيان المعجز في القرآن الكريم، ويجدر بطلبة العلم الشرعي الحرص على تلمس الألفاظ المشتركة التي لم يرد ذكرها في كتب الوجوه والنظائر، ولم يسبق بيانها من أهل البيان والبلاغة، ما استطاعوا إليه سبيلًا.

المصادر والمراجع

Sources and References

- **The Holy Quran**.
- Al-Azdi, Abu al-Hasan Muqatil bin Suleiman bin Bashir al-Balkhi, **Tafsīr Muqātil ibn Sulayman**, verified by: Abdullah Mahmoud Shehata, (Beirut: House of Revival of Arab Heritage, Publishers, 1, 1423 H).
- Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Ja‘ fi, **Sahīh Al-Bukhari al Musammā/al Jāmi‘al Musnad al Sahīh al Mukhtasar min Umūr Rasūl Allah wa Sunanih wa Ayyamih**. verified by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasir, (Dar Tawq Al-Najat, Publishers, 1st Ed., 1422 H).

- Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud, **Ma‘ ālim al Tanzīl fī Tafsīr al Qur’an**, verified by: Muhammad Abdullah Al-Nimr, et al, (Dar Taiba for Publishing and Distribution, Publishers, 4th edition, 1417 H / 1997 AD).
- Al-Beqa’i, Ibrahim bin Omar bin Hassan, **Nadhm al Durar fī Tanasub al āy wa al Suwar**, (Cairo: Dar Al-Kitab Al-Arabi, n. ed., n. d.).
- Al-Baydawi, Abu Saeed Nasser Al-Din Abdullah bin Omar bin Muhammad Al-Shirazi, **Anwār al Tanzīl wa Asrār al Ta’wīl**, verified by: Muhammad Abdul Rahman Al-Mara’ashli, (Beirut: House of Revival of Arab Heritage, Publishers, 1st ed., 1418 H).
- Ibn Taymiyyah Al-Harrani, Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim, **Majmū‘ al Fatāwā/**, verified by: Abdul Rahman bin Muhammad bin Qasim, (Madina: King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur’an, Dr. I, 1416 H / 1995 AD).
- Al-Gawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Farabi, **Al Sihāh Tāj al Lughah wa Sihāh Al ‘Arabiyyah**, verified by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, (Beirut: Dar Al-Ilm for Millions, Publishers, 4th edition, 1407 H / 1987 AD).
- Abu Hatem Al-Razi, Ahmed bin Hamdan, **Al Zīnah fī al Kalimāt al Islāmiyyah al ‘Arabiyyah**, verified by: Hussein bin Faydallah Al-Hamdani, (Sana’a: Yemeni Studies and Research Centre, 1st ed, 1415 H / 1994 AD).
- Abu Hayyan Al-Andalusi, Atheer Al-Din Muhammad bin Yusuf bin Ali, **Al Bahr al Muhīt fī al Tafsīr**, verified by: Sidqi Muhammad Jamil, (Beirut: Dar Al-Fikr, Publishers, n. d., 1420 H).
- Al-Khalil Al-Farahidi, Ahmed bin Amr bin Tamim, **Al ‘Ayn**, verified by: Mahdi Al-Makhzoumi, et al, (Al-Hilal House and Library, Publishers, n. ed. n. d.).
- Al-Dhahabi, Muhammad Al-Sayyid Hussein, **Al Tafsīr wa al Mufassirūn**, (Cairo: Wahba Library, Publishers, n. ed. n. d.).
- Al-Ragheb Al-Asfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad bin Al-Mufaddal, **Tafsīr Al Rāghib Al Asfahānī**, verified by: Muhammad Abdul-Aziz Bassiouni, et al, (Master’s Thesis, Faculty of Arts, Tanta University, Publishers, 1st ed., 1420 H / 1999 AD).
- Al-Ragheb Al-Asfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad Bin Al-Mufaddal, **Mufradāt Alfādh al Qur’an**, verified by Ibrahim Shams Al-Din, (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Publishers, 1st ed., 1418 H / 1997 AD).
- Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq, **Tāj al ‘Arūs min Jawāhir al Qamūs**, (Dar Al-Hedaya, Publishers, n. ed. n. d.).
- Al-Zuhaili, Wahba bin Mustafa, Al Tafsīr al Munīr fī al ‘Aqīdah wa al Sharī‘ahwa al Manhaj, (Damascus: Dar Al-Fikr Contemporary, 2nd Edition, 1418 H).
- Zaid bin Ali Maharish, **Suwar al Mushtarak al Lafdhī fī al Qur’an al Karīm wa Atharuhā/ fī al Kashf ‘an ‘an al Ma‘ ānī**, Journal of Sharia Sciences and Islamic Studies, (Makkah: Umm Al-Qura University), issue 54, Muharram 1433 H.
- Zaid Omar Abdullah, **Al Siyāq al Qura’nī wa Atharuh fī al Kashf ‘an al Ma‘ ānī**, research published on the Alukah Network website, retrieved on: 10-6-1443 H, link: https://www.alukah.net/sharia/0/431/#ixzz7HnzmenT3 .

- Al-Sarakhsi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Suhail, **Usūl al Sarkhasi**, (Beirut: Dar Al-Mārifa, Publishers, n. ed. n. d.).
- Al-Sādi, Abdul-Rahman bin Nasser bin Abdullah, **Taysīr Al Karīm Al Rahman Tafsīr Kalām Al Mannan**, verified by: Abdul-Rahman bin Mualla Al-Luhaiq, (Al-Risala Foundation, Publishers, 1st ed, 1320 H / 2000 AD).
- Al-Samarqandi, Abu Al-Laith Nasr bin Muhammad bin Ahmed, Bahr Al-Uloom, (n. ed. n. d.).
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abdul Rahman bin Abi Bakr, **Al Muzhir fī 'Ulūm al Lughah wa Anwā'ihā/**, verified by: Fouad Ali Mansour, (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Publishers, 1st ed, 1418 H / 1998 AD).
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abdul Rahman bin Abi Bakr, **Tadrīb al Rawī fī Sharh Taqrīb al Nawawi**, Verified by: Abu Qutaiba Nazar Muhammad Al-Faryabi, (Dar Taiba, Publishers, n. ed. n. d).
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abdul Rahman bin Abi Bakr, **Mu' tarak al Aqrān fī I'jāz al Qur'an**, **al Musammā/ (I'jāz al Qur'an wa Mu'tarak al Aqrān)**, (Beirut / Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, Publishers, 1st ed., 1408AH/1988AD).
- Al-Shawkani, Muhammad bin Ali bin Muhammad, **Irshād al Fuhūl Ilā/ Tahqīq al Haq min 'Ilm al Usūl**, verified by: Ahmed Ezzo Inaya, (Damascus: Dar Al-Kitab Al-Arabi, Publishers, 1, 1419 H / 1999 AD).
- Safa Amamra, Hana Al-Issawi, **Al Mushtarak al Lafdhi fī al Qur'an al Karīm**, (Master's Thesis, College of Arts and Languages, University of Martyr Hama Lakhdar Al Wadi, 1437 H-1438 H / 2016 AD-2017 AD).
- Al-Tabari, Abu Jāfar Muhammad bin Jarir bin Yazid Al-Amali, **Jāmi'Al Bayān fī Ta'wīl āy al Qur'an**, verified by: Ahmed Muhammad Shaker, (Al-Risala Foundation, Publishers, 1st ed., 1420 H / 2000 AD).
- Ibn Ashour, Muhammad al-Taher ibn Muhammad al-Taher al-Tunisi, **Al Tahrīr wa al Tanwīr AL MUSAMMĀ/ (Tahrīr al Ma'nā/ al Sadīd wa Tanwīr al 'Aql al Jadīd min Tafsīr al Kitāb al Majīd**), (Tunisia: Tunisian House of Publishing, Publishers, Dr. I, 1984 H).
- Al-Uthaymeen, Muhammad bin Saleh bin Muhammad, **Sharh Riyad al Salihīn**, (Riyadh: Dar Al-Watan, Publishers, n. ed., 1426 H).
- Ibn Attia al-Andalusi, Abu Muhammad Abd al-Haq ibn Ghalib ibn Abd al-Rahman al-Maharibi, **Al Muharrar al Wajīz fī Tafsīr al Kitāb al 'Azīz**, verified by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, publishers, 1st ed., 1422 H).
- Fakhr Al-Din Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan Al-Taymi, **Mafātīh al Ghayb al Musammā/ bi al Tafsīr al Kabīr**, (Beirut: House of Revival of Arab Heritage, Publishers, 3rd Edition, 1420 H).
- Al-Qasimi, Muhammad Jamal Al-Din bin Muhammad Saeed, **Mahāsin al Ta'wīl al Musammā/ Tafsīr al Qāsimi**, verified by: Muhammad Basil Oyoun Al-Soud, (Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Publishers, 1st ed., 1418 H).

- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Shams Al-Din Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr Al-Ansari Al-Khazraji, **Al Jāmi'li Ahkām al Qur'an**, verified by: Ahmed Al-Baradouni, et al, (Cairo: Egyptian House of Books, Publishers, 2nd Edition, 1384AH/1964AD).
- Al-Qazwini, Ahmed bin Faris bin Zal Musammā/ ria, **Mu' jam Maqāīyys al Lughah**, verified by: Abd al-Salam Muhammad Harun, (Dar al-Fikr, Publishers, n. ed., 1399 H/1979 AD).
- Ibn Qayyim al-Jawziyya, Shams al-Din Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayoub, **Tafsīr al Qur'an al Karīm AL MUSAMMĀ/ Tafsīr Ibn al-Qayyim**, verified by: Office of Arab and Islamic Studies and Research, (Beirut: House and Library of Al-Hilal, Publishers, 1st ed., 1410 H).
- Ibn Kathir Al-Basri, Abu Al-Fida Ismail bin Omar Al-Qurashi Al-Dimashqi, **Tafsīr al Qur'an al 'Adhīm**, verified by: Sami bin Muhammad Salama, (Dar Taiba Publishing, Publishers, 2nd ed., 1420 H / 1999 AD).
- Muhammad Hamid Hassan Attia, **Al Wujūh wa al Nadhā'ir fī al Tarākīb al Qur'āniyyah bayn al Ta'sīl wa Tatbīq**, Journal of Al-Fara'id in Islamic and Arabic Research, (Cairo: Al-Azhar University), vol. 40, p. 1, June 2021 AD.
- Ibn Manzoor, Jamal al-Din Muhammad bin Makram bin Ali, **Lisān al 'Arab**, (Beirut: Dar Sader, Publishers, 3rd edition, 1414 H).
- Al-Najran, Suleiman bin Muhammad, **Al Mushtarak al Lafdhī fī al Mustalahāt al Usūliyyah**, Journal of Sharia and Islamic Studies, (Makkah: Umm Al-Qura University), p. 82, Muharram 1442 H / September 2020 AD.
- Al-Nisaburi, Abu Al-Hassan Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri, **Sahīh Muslim al Musammā/ al Musnad al Sahīh al Mukhtasar bi Naql al 'Adl 'an al 'Adl Ilā/ Rasūl Allah**. Verified by: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, (Beirut: House of Revival of Arab Heritage,n. ed. n. d.)
- Al-Wahidi, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed bin Muhammad Al-Nisaburi Al-Shafi'i, **Asbāb Nuzūl al Qur'an**, verified by: Essam bin Abdul Mohsen Al-Humaidan, (Dammam: Dar Al-Islah, Publishers, 2nd ed., 1412 H / 1992 AD).
- Al-Wadi'i, Muqbil bin Hadi bin Muqbil Al-Hamdani, **Al Sahīh Al Musnad min Asbāb al Nuzūl**, (Cairo: Ibn Taymiyyah Library, Publishers, 4th edition, 1408 H/1987 AD).